

كان أمام المتنبي عدد من الأوزان الأخرى يختار منها ما يشاء ، وعندما قال البيت الأول من هذه القصيدة حدد مجرى هذه القصيدة كلها من حيث الوزن ومن حيث القافية ، بل إن كلمة « المتبول » قد حددت عندما وصل في قوله إلى « أنا أهوى وقلبك .. » بناء على الوزن من جانب وعلى اختيار القافية من التصريح في الشطر الأول وما يتطلبه المعنى من جانب آخر . وفي البيت الثاني عندما نصل في قراءته إلى « وخان فيما .. » لابد أن يسبق إلى اللسان الفعل « يقول » . وفي البيت الثالث قد نتوجه إلى الشيخ عبد القاهر بهذا السؤال : ما الذى أدى إلى تقديم المفعول في الجملتين : « أفسدت بيننا الأماناتِ عيناها » « وخانت قلوبهن العقول » ؟ لقد تحققت المعانى النحوية التى هى مناط النظم عند عبد القاهر باختيار الفعل والفاعل والمفعول به واختيار الكلمات التى شغلت هذه الوظائف ، أو على حد قوله عن شطر لامرئ القيس : « خَبَّرنا عنك ، أترى أنه يُتصوّر أن يجب لألفاظ الكلم التى تراها فى قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

هذا الترتيب ، من غير أن يتوخى فى معانيها ما تعلم أن امرأ القيس توخاه من كون « نبك » جوابا للأمر ، وكون « مِنْ » معدية له إلى « ذكرى » وكون « ذكرى » مضافة إلى حبيب ، وكون « منزل » معطوفاً على « حبيب » فإن شككت فى استحالته لم تُكَلِّمْ » (١) ونحن لا نشك فى استحالة ذلك ، ولكننا نشك كثيرا فى أن الوزن لا دخل له فى ترتيب هذه الألفاظ واستدعاء بعضها . لاشك أن المتنبي كان يقصد هذه الكلمات فى مواضعها « يقول - العقول - النحول - دليل - تحول - قليل » وبقية كلمات القافية فى القصيدة ، وبالإضافة إلى ذلك يقصد إلى جعلها مرفوعة وهذا جانب من النظم ، وهى كلمات تشكل أهمية خاصة ولذلك أبرزها مشبعة أو آخرها فى هذا الموضع الذى يجمع بين التوافق الصوتى والاختلاف الدلالى . ولو تأملنا فى تعريف ما عُرِف

(١) دلائل الإعجاز : ٣٦٣ .